مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد
https://jfpsu.journals.ekb.eg/

P-ISSN: 2356-6493 E-ISSN:2682-3551

الانفرادات النقدية لابن الأثير في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) دراسة فنية نقدية

د/ محمد شعبان عبد الرازق

مدرس الأدب العربي

كلية الآداب، جامعة بورسعيد

dr.mohamed.shaban16@gmail.com

10.21608/jfpsu.2024.332730.1399

تاريخ الإرسال : ٢٠٢٤/١٠/٣١م **تاريخ القبول :** ٢٠٢٤/١١/١٥م

تاريخ النشر : ٢٠٢٤/١٢/٣١م

This is an open access article licensed under the terms of the Creative Commons Attribution International License (CC BY 4.0). http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

الانفرادات النقدية لابن الأثير في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) دراسة فنية نقدية

مستخلص

يعد كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لابن الأثير من الكتب الرائدة في مجالي النقد والأدب، وقد رصد الباحث العديد من المواضع التي صرّح فيها ابن الأثير أنه قد تفرّد فيها بما يذكره من آراء، وما يطرحه من أفكار، كما صرّح في مواضع أخرى أنه قد استطرد مع أقوال سابقيه وخالفهم، وبيّن خطأ ما ذهبوا إليه، وكشف فساد مقاصدهم، وبرهن على صحة ما يطرحه من آراء مغايرة لآرائهم، فحاول أن يكون منفرداً في العديد من آرائه من جهة، أو يكون له التفوق على من سبقه من جهة أخرى، وهذا يكشف عن سعيه إلى التأسيس لبناء نقدي متكامل في العديد من الآراء التي تحتمل ذلك؛ لبناء نظرة تجديدية خاصة به تنبع من ذائقته النقدية الأصيلة، وتدور حول المسائل والمضامين الأدبية والبيانية والبديعية التي حفل بها كتابه، ومن ثم فقد اتخذ الباحث من تلك الانفرادات النقدية لابن الأثير موضوعاً للدراسة الحالية محاولاً رصدها ودرسها دراسة فنية نقدية تعتمد على المنهج الاستقرائي الوصفي القائم على تحليل ظواهر الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الانفرادات، النقد، ابن الأثير، المثل السائر.

Critical Singularity of Ibn Al-Atheer in His Book “Al-Mathal Al-Sa'ir fi Adab Al-Kateb wa Al-Sha'ir”: A Critical Artistic Study

Abstract

The book “Al-Mathal Al-Sa'ir fi Adab Al-Kateb wa Al-Sha'ir” by Ibn Al-Atheer is considered one of the pioneering books in the fields of criticism and literature. The researcher has detected many places in which Ibn Al-Atheer stated that he was unique in what he mentioned of opinions and the ideas he put forward. He also stated in other places that he had digressed from the statements of his predecessors, disagreed with them, and showed the error of what they went to, revealed their corrupt objectives, and proved the validity of what he put forward of opinions that differed from theirs. He thus tried to be singular in many of his opinions on the one hand, or to have superiority over those who preceded him on the other hand. This, in turn, reveals his quest to establish an integrated critical structure in many opinions that bear that; to build a unique innovative view of his own that stems from his authentic critical taste, and revolves around the literary, rhetorical and figurative issues and contents that his book is full of. Accordingly, the researcher has taken this critical singularity of Ibn Al-Atheer as the subject of the current study, attempting to detect it and study it in a critical artistic study that depends on the descriptive inductive method based on analyzing the phenomena of the study.

Keywords: Singularity, criticism, Ibn Al-Atheer, Al-Mathal Al-Sa'ir.

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة الانفرادات النقدية التي وردت في كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لابن الأثير، وهي تجليات ثرية بتنوعها المعرفي وتوجهها النقدي، وقد اغترفها ابن الأثير من طول اطلاعه على الموروث النقدي العربي؛ لبناء نظرة تجديدية خاصة به تنبع من ذائقته النقدية الأصيلة، وتدور حول المسائل والمضامين الأدبية والبيانية والبديعية التي حفل بها مصنفه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، ولا تنفك تنطلق من عصره، وتتواءم معه، وتعبر عنه.

فكتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لابن الأثير يعد من أبرز الكتب النقدية في العصر الأيوبي، ولا سيما أن ابن الأثير كان قد وصل في تلك الآونة لمكانة مرموقة بين كتاب هذا العصر ونقاده، وقد جمع في هذا الكتاب جوانب عديدة من فنون البلاغة في الأدب، وقد انقسم النقاد والأدباء حول هذا الكتاب، فمنهم من مدحه وارتفع به لمكانة عالية، ومنهم من اعترض على ما كتَبَه ورأى فيه إفراطاً في الإعجاب بنفسه وغلواً وجدلاً، وقد كان ذلك ــ في أغلب الأحيان ــ رد فعل على ابن الأثير الذي حاول أن يكون مبدعاً أكثر من أن يكون متبعاً، فحاول أن يكون منفرداً في العديد من آرائه من جهة، أو يكون له التفوق على من سبقه من جهة أخرى، وهذا يكشف عن سعيه إلى التأسيس لبناء نقدي متكامل في العديد من الآراء التي تحتمل ذلك.

وقد عنون الباحث لتلك الدراسة بالانفرادات النقدية لابن الأثير في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر).

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث ــ في حدود بحثه واطلاعه ــ على دراسة واحدة تناولت الانفرادات النقدية لابن الأثير في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، في الوقت الذي رصد فيه الباحث العديد من الدراسات حول ابن الأثير ومؤلَفه التي أفادت منها الدراسة الحالية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ ــ دراسة الباحث جبر إبراهيم محمد بري: المصطلح النقدي والبلاغي في كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن،

رسالة ماجستير، ١٩٩٦م.

ب ــ دراسة الدكتور عادل جابر صالح محمد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (دراسة نقدية)، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد٣١، ١٩٩٨م.

ج ــ دراسة الباحثة باية بن مساهل: الخطاب النثري في المثل السائر لابن الأثير، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، رسالة ماجستير، ٢٠٠٩م.

د ــ دراسة الدكتور وفيق محمد سليطين والباحثة ريان عبد المجيد جلول: في المنهج النقدي عند ابن الأثير في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعتي سمنان بإيران وتشرين بسورية، السنة السادسة، العدد الواحد والعشرون، ٢٠١٥م.

هـ ــ دراسة الباحثة نعيمة سعدية: نظرية النص الأنموذج في كتاب المثل السائر لأبي الفتح ضياء الدين ابن الأثير، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد ٤١، ذو القعدة ١٤٣٦هـ سبتمبر ٢٠١٥م.

و ــ دراسة الدكتورة زينب دوادي: الأسس والمرتكزات البلاغية عند ضياء الدين بن الأثير (إضاءات في مضامين المثل السائر)، حوليات جامعة قالمة للغات والآداب، الجزائر، العدد ١٢، ديسمبر ٢٠١٥م.

ز ــ دراسة الباحثة سهيلة خالدي: معايير الشعرية في "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" لضياء الدين بن الأثير، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، رسالة ماجستير، ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م.

ح ــ دراسة الدكتورة وفاء سعيد يوسف شهوان: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير كتاب نقد وناقد، المجلة العربية للنشر العلمي، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية، رماح ــ الأردن، العدد الثامن والعشرون، ٢٠٢١م.

بناءً على ما سبق فقد تبين أن دراسة **الانفرادات النقدية** لابن الأثير من خلال كتابه **(المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)** لم تحظَ بدراسات منفصلة، ولم يتم تناولها في ضوء المنهج الذي سيتناوله الباحث في الدراسة الحالية.

وسوف تنهض هذه الدراسة وفقاً لآليات المنهج الاستقرائي الوصفي القائم على تحليل ظواهر الدراسة، وفحص أقواله التي تؤكد انفراداته النقدية، أو تفوقه على من سبقه من العلماء؛ من أجل استكشاف نظرته حول هذه القضايا؛ لعلني أجيب عن تساؤلات الدراسة.

التساؤلات البحثية:

حين مطالعتي كتاب **(المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)** لاحظت عدة أقوال لابن الأثير يُصرح فيها بشكل أو بآخر بأنه قد انفرد بعدد من الآراء النقدية، أو تفوق فيها على من سبقه، ومن ثم أثارت هذه الانفرادات عدداً من التساؤلات والتي تتمثل في:

هل هناك بالفعل انفرادات لابن الأثير؟

وما المجالات التي تفرد فيها؟ وكيف عبّر عن تلك الانفرادات النقدية؟

وهل كان لتلك الانفرادات أثر في النقاد والأدباء من بعده؟

وهل يمكن الإفادة منها في الدرس الأدبي والنقدي؟

وما المنهج الذي اتبعه ابن الأثير في عرض تلك الانفرادات؟ وإلى أي المناهج النقدية يمكن تصنيف هذه الانفرادات؟

الكلمات المفاتيح:

قبل الولوج إلى هذه الدراسة يقف الباحث عند المفردات الرئيسة في العنوان؛ لبيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لكل منها وفقاً للمناهج العلمية المتبعة التي تستدعي أن تكون تلك المصطلحات هي الكلمات المفاتيح التي تفتح مغاليق النص أمام المتلقي، وتتمثل تلك المصطلحات الرئيسة في: **(الانفرادات ـ النقد ـ ابن الأثير ـ المثل السائر)**

تجريد خطة الدراسة:

جاءت الدراسة في مقدمة تلاها مبحثان:

يتناول المبحث الأول: ما تفرد به ابن الأثير في كتابه دون غيره وكان له فضل السبق.

أما المبحث الثاني فيتناول: ما تفوق فيه على من سبقه وابتدع على غير شاكلتهم.

ثم خاتمة الدراسة وفيها أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج.

مصطلح: الانفرادات:

الانفراد لغة: مصدر للفعل الخماسي (انفرد)، وإذا ما عدنا إلى أصوله اللغوية في لسان العرب وجدنا "الفرد: الذي لا نظير له، والجمع أفراد، وفرد بالأمر يفرُد وتَفَرَّد وانفرد واستفرد، وفردت بهذا الأمر أفرُد به فُرُوداً إذا انفردت به." [١]

وفي المعجم الوسيط "فَرَد بالأمر والرأي: انفرد، وانفرد بالأمر استبد ولم يشرك معه أحداً، وانفرد بنفسه: خلا، وتفرد بالأمر: انفرد." [٢]

وبذلك فالانفراد في اللغة يعني: الاعتزال، والوحدانية، وعدم النظير.

الانفراد اصطلاحاً: يمكن النظر إلى مفهوم الانفراد من خلال علم القراءات العربية، فالانفراد هو "اختصاص واحد من القراء، أو الرواة بما قرأ به، أو رواه"[٣]، ويكون ذلك عن إمام من طرق معينة، وقد استخدم علماء القراءات لفظ الانفراد والتفرد والاختصاص على سبيل الترادف، ومن ذلك قول الداني: "وتفرد الكسائي دون حمزة بإمالة: ﴿أَحْيَاكُمْ﴾الحج: ٦٦، و: ﴿فَأَحْيَابِهِ﴾البقرة: ١٦٤، و: ﴿أَحْيَاهَا﴾المائدة: ٣٢، حيث وقع، إذا نُسق ذلك بالفاء أو لم يُنسَق، لا غير." [٤]

إلا أنه ورد في المنح الشافيات أنه لا يلزم من الانفراد أن ينفرد بها القائل من علماء الأمة جميعاً، ولو كان ذلك لزاماً، لندر أن يكون هناك مفردة، إذ يندر أن ينفرد أحد من علماء المسلمين بقول في مسألة لم يوافقه فيه أحد من العلماء قبله، ولو وُجد فغالباً ما يكون هذا من أخطاء ذلك العالم. [٥]

---

[١] ابن منظور: لسان العرب، مادة فرد، المجلد الثالث، ص٣٣١، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

[٢] مجمع اللغة العربية بمصر: المعجم الوسيط، مادة فرد، ص٦٧٩، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

[٣] رضوان عبد الرب سيف السروري: انفرادات يعقوب وراوييه كمن طريق الدرة وتوجيهها، ص٧، كلية الدراسات العليا، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، رسالة ماجستير، ٢٠٠٠م.

[٤] أبو عمرو الداني: التيسير في القراءات السبع، تحقيق الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، ص١٧٩ـ ١٨٠، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

[٥] ينظر: منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي: المنح الشافيات بشرح مفردات الإمام أحمد، ج١، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الله بن محمد المطلق، ص١٤، كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

وقد عرف الحنابلة المسائل الفقهية التي انفرد فيها أحد الأئمة الأربعة، فقد انفرد الإمام أحمد عن بقية المذاهب، بحيث لم يوجد منهم له فيها مشارك. [١]

ويرى الدكتور أحمد عبد الحي أن هناك اختلافاً بين الانفراد والتفرد والفردية، فيرى أن التفرد يشير إلى الإمكانات الفطرية في الإنسان، والفردية تشير إلى الإمكانات الفطرية والمكتسبة معاً، ويرى الفردية أوسع من التفرد، لكنهما يشتركان في مركز واحد هو الكيان الإنساني: جسداً ونفساً. [٢]

ويرى الدكتور أحمد عبد الحي أن الانفراد هو الإحساس الذي يتلبس إنساناً ما بأنه يواجه الكون وحده، وأنه يقف كشجرة منفرداً في هذه الحياة، حيث لا رفيق ولا صديق. أما التفرد فهو "الإمكانية الفطرية الموجودة في كل فرد، والتي بها تتمكن النفس الفردية من تحقيق تمام نموها وارتقائها." [٣] والفردية هي "مجموعة الخصال اللازمة له في شخصه المادي والمعنوي كمزاجه وحساسيته وذوقه وأفكاره، وكل ما يتميز به فرد عن آخر من الصفات الجسمية والمعنوية، أو ما من شأنه أن يجعله ذا طابع فريد، ويجعل له موقفاً وحيداً يطبع فرديته بطابع خاص." [٤]

ولهذا يمكن النظر إلى مصطلح الانفراد على أنه ما ذكره الفرد منفرداً به عن غيره، أو لم يسبقه أحد إلى مثل ما أتى به، أو قارن نفسه بغيره وكان يرى لنفسه الأسبقية والفضل والتقدم عمن سواه.

مصطلح: (النقد):

النقد لغة: استعملت اللغة العربية لفظ النقد لمعانٍ مختلفة منها ما جاء في لسان العرب "النقد خلاف النسيئة. والنقد والتنقاد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها. وفي حديث أبي الدرداء أنه قال: إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك؛ معنى نقدتهم أي عِبتهم واغتبتهم قابلوك بمثله." [٥]

---

[١] سالم علي الثقفي (دكتور): مفاتيح الفقه الحنبلي، ج٢، ص٢٣١، دار النصر للطباعة الإسلامية، مصر، ط٢، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

[٢] أحمد عبد الحي (دكتور): الانفراد ـ التفرد ـ الفردية دراسة في شعر عنترة، ص٦، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م.

[٣] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص١٨٧، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٧م.

[٤] نفس المرجع، ص٤٥٥.

[٥] ابن منظور: لسان العرب، مادة نقد، المجلد الثالث، ص٤٢٥ـ ٤٢٦، مرجع سابق.

وفي المعجم الوسيط: "نقد الشيء نقداً: نقره ليختبره، أو ليميز جيده من رديئه. يقال: نقد الطائر الفخ، ونقدت رأسه بإصبعي. ونقد الدراهم والدنانير وغيرهما نقداً، وتنقاداً: ميز جيدهما من رديئهما. ويقال: نقد النثر، ونقد الشعر: أظهر ما فيهما من عيب أو حسن." [١]

وإذا أمعنا النظر في المعاني اللغوية السابقة تبين أن النقد هو التمييز بين الأشياء لمعرفة الجيد من الرديء، والنقد إظهار العيوب، والنقد اختبار الشيء للإحاطة به ومعرفته.

والنقد اصطلاحاً: تتفق أغلب الآراء حول تعريفه، فالنقد كلمة تعني في مفهومها الدقيق الحكم، والنقد الأدبي في أدق معانيه هو فن دراسة الأساليب وتمييزها على أن نفهم لفظة الأسلوب بمعناها الواسع. [٢]

والنقد هو الحديث الصريح لإنسان هاوٍ ويتحول لفن مكتفياً بذاته عندما يتجسد فيه الحب والمعرفة، لكن هذا الاكتفاء الذاتي لا يجعله فناً انعزالياً على الإطلاق، بل يظل معتمداً على الفنون الأخرى، ويبسط من الخارج تعابير للتذوق، ويسمي وينظم ما يعرفه ويحبه، ويبحث مع كل دافع وانطباع جديد؛ ليصير الشعر نقداً للحياة، فالشعر هو الحياة بعد أن يضاف إليها الشكل والمعنى، لا الحياة التي نعيشها بل الحياة المحددة بإطار، وبهذا يتمركز النقد حول التعابير والأساليب التي استعملت في نقل الحياة، ثم العلاقة بين المضمون والشكل. [٣]

والنقد هو المرآة الصادقة التي تعكس نواحي الجودة والجمال أو الرداءة والقبح في العمل الأدبي، والنقد ليس محصوراً في العمل الأدبي تحديداً، ذلك أن رسالة النقد عامة وشاملة، فهو يتناول العمل العلمي والسياسي والخلقي والفني؛ لأنه لا يخلو أي عمل من

---

[١] مجمع اللغة العربية بمصر: المعجم الوسيط، مادة نقد، ص٩٤٤، مرجع سابق.

[٢] ينظر: أبو الفرج قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، ص١٣، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

[٣] ينظر: مارك شورر وآخرون: النقد أسس النقد الحديث، ترجمة هيفاء هاشم، ص٥١٠، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ط٢، ٢٠٠٥م.
(والكلام لـ ر.ب. بلاكمور بتصرف يسير)

الأعمال من نواحي الجودة أو الرداءة، ومن نواحي الكمال أو النقص. [١]

فالنقد يفسر ويصف ويحلل ويحكم على النص الأدبي، فهو يتأسس كخطاب أدبي يحاول أن يؤكد وجود قضية جوهرية في هذا النص، وهو فهمه والولوج إلى عالمه، والوصول إلى أعماقه. [٢]

والنقد تحليل القطع الأدبية وتقدير ما لها من قيمة فنية، وقد استخدمها الصيارفة في تمييز الصحيح من الزائف من الدنانير، ومنهم استعارها الباحثون في النصوص الأدبية ليدلوا بها على الملكة التي يستطيعون بها معرفة الجيد من النصوص والرديء والجميل والقبيح، وما تنتجه هذه الملكة في الأدب من ملاحظات وآراء وأحكام مختلفة. [٣]

ويرى الدكتور محمد مندور أن النقد هو "فن دراسة الأساليب وتمييزها، وذلك على أن نفهم لفظة لأسلوب بمعناها الواسع، فليس المقصود بذلك طرق الأداء اللغوية فحسب، بل المقصود منحى الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على السواء، بحيث إذا قلنا إن لكل كاتب أسلوبه يكون معنى الأسلوب كل هذه العناصر التي ذكرناها." [٤]

ويرى الدكتور أحمد الشايب أن النقد "دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها، يجري هذا في الحسيات والمعنويات." [٥]

إن العملية النقدية لا بد أن تحيط بالموضوع كله من خلال دراسة هذا الموضوع، ومدى تأثيره في المتلقي، ولم يكن هذا ليحدث لولا تفطن النقاد واستخدامهم للكثير من المفاهيم والأفكار والأدوات، حتى وإن اختلفت في طرق معالجتها للنص يبقى هدفها واحداً وهو الاشتغال بالنص وللنص. [٦]

---

[١] ينظر: حسين الحاج حسن (دكتور): النقد الأدبي في آثار أعلامه، ص٢٤، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

[٢] ينظر: صدام حامدي: أسس بناء المنهج النقدي عند أنور الجندي كتاب "أخطاء المنهج الغربي الوافد" نموذجاً، ص٦، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، رسالة ماجستير، ٢٠١٦م.

[٣] ينظر: شوقي ضيف (دكتور): النقد، ص٩، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٨٤م.

[٤] محمد مندور (دكتور): في الأدب والنقد، ص٨ـ ٩، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨م.

[٥] أحمد الشايب (دكتور): أصول النقد الأدبي، ص١١٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٤م.

[٦] ينظر: صدام حامدي: أسس بناء المنهج النقدي عند أنور الجندي كتاب "أخطاء المنهج الغربي الوافد" نموذجاً، ص٦، مرجع سابق.

وعلى الناقد قبل البدء في أي عملية نقدية أن يتسلح بوعي نقدي يكون مبدأه وركيزته، بحيث يكون له حس يستطيع أن يتعرف بواسطته على تضاريس النص الأدبي، وهذا الحس ليس بكافٍ بل لا بد من منهج نقدي يعززه ويعضده ويكون بمثابة قوام العملية النقدية. [١]

فالأدب يوجد أولاً ثم يُوجد نقده؛ لأن النقد يتخذه موضوعاً له، فالأدب موضوعه الطبيعة والحياة الإنسانية، بينما النقد موضوعه الأدب، فالنقد فن مشتق من غيره، أو بالأحرى متوقف على غيره، إذ إنه لا يوجد بدون أدب يشتق منه قواعده، ويسلط عليه مقاييسه، ويصور فيه رضاه وسخطه. [٢]

أما النقد تاريخياً: فقد كان النقد في الجاهلية عبارة عن ملاحظات على الشعر والشعراء قوامها الذوق الطبيعي الساذج، وكان النقد يعتمد على الانفعال والتأثر دون أن تكون هناك قواعد مدونة يرجع إليها النقاد في شرح أو تعليل، وبقيت الحال حتى ظهر الإسلام، وكان الرسول وخلفاؤه يؤثرون من الشعر ما هو بسبيل إلى الأخلاق الفاضلة والتعاليم الإسلامية، فلما تقدم القرن الأول قويت نهضة الشعر، وتعددت البيئات والمذاهب الشعرية والسياسية، فقوي النقد الأدبي تبعاً لذلك، فلما كان القرن الثاني جدّت عوامل كثيرة نهضت بالأدب والنقد، وقامت ثورة على الأدب القديم جهر بها أبو نواس، وعمل في ظلها بشار وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد، وتبع ذلك قيام النقد بالمفاضلة بين مذهبين: قديم يتجه إلى الجاهلية وصدر الإسلام، وحديث يجري مع مقتضيات الحياة فيعمق المعاني ويبتكرها، ويلتفت إلى العبارة صانعاً أو متصنعاً، حتى إذا حل القرن الثالث تقاسم العلماء والباحثون الثقافة الإسلامية بين رجال الدين ورجال اللغة والمترجمين، وصدر النقد عن ذهنيات أربعة: اللغويين، والأدباء، والعلماء الذين أخذوا نصيباً يسيراً من المعارف الأجنبية، والعلماء الذين تأثروا كثيراً بما نُقل عن اليونان؛ ولذلك ظهر عندنا المبرد وابن المعتز وابن قتيبة وقدامة، وقد بلغوا في النقد ما بلغوا لكنهم لم يبلغوا ما بلغه نقاد القرن الرابع في التفسير والتعليل والنظام، فقد امتاز نقاد القرن الرابع بالعمق وسعة الأفاق وتحليل

---

[١] ينظر: نفس المرجع، ص٦.

[٢] ينظر: شوقي ضيف (دكتور): النقد، ص٩، مرجع سابق.

الظواهر الأدبية وإرجاعها إلى أصولها الصحيحة، ثم سار النقد في القرون التالية يتأثر ما رسمه هؤلاء، حتى بات حرفة متصنعة، حتى إذا كانت النهضة الأدبية المعاصرة عادت الحياة الأدبية تستأنف نشاطها، وأخذ النقد يستيقظ، ويذهب فيه المعاصرون مذهبين: فريق يتجه إلى الثقافة العربية، وآخر يتجه إلى الثقافة الغربية، وإن كانت الثانية هي المسيطرة بشكل أكبر وأعمق. (١)

ضياء الدين ابن الأثير (٥٥٨ ــ ٦٣٧هـ / ١١٦٣ ــ ١٢٣٩م):

هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب ضياء الدين، ولد في جزيرة ابني عمر، ونشأ بها، وانتقل مع والده إلى الموصل، وبها اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله وكثيراً من الأحاديث وطرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان وشيئاً كثيراً من الأشعار، ولما كملت له الأدوات قصد الناصر صلاح الدين، فوصله القاضي الفاضل لخدمة صلاح الدين، وظل عنده حتى طلبه ولده الملك الأفضل فخيره صلاح الدين فاختار ولده الأفضل فاستوزره وحسنت حاله عنده. (٢)

ولعل من أسباب اختياره للابن دون الأب، أنه رأى أن صلاح الدين قد استولى على قلبه في الكتابة القاضي الفاضل، ومعه العماد الكاتب صاحب الخريدة، ثم هو في أوج قوته حنكة وسيطرة وانتصاراً وشهرة، ولا مطمع لهذا الشاب الذي هو دون الثلاثين في أن يكون عند سلطان هذه حاله، وهؤلاء كتابه. (٣)

---

(١) ينظر بتصرف يسير: أحمد الشايب (دكتور): أصول النقد الأدبي، ص١٠٩ـ ١١٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٤م.
وطه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م.
وينظر بشكل أعمق: محمد زغلول سلام (دكتور): تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٢م.

(٢) ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٥، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ص٣٨٩ـ ٣٩٠، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م.
وللمزيد ينظر: خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج٨، ص٣١، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
وعمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج٣، ص٥٣٥، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٩م.

(٣) ينظر: ضياء الدين بن الأثير: الوشي المرقوم في حل المنظوم، تحقيق الدكتور جميل سعيد، ص٥، ط٢، د.ت.

يقول عنه ابن خلكان: "ولقد ترددت إلى الموصل من إربل أكثر من عشر مرات، وهو مقيم بها، وكنت أود الاجتماع به لآخذ عنه شيئاً، ولما كان بينه وبين الوالد، رحمه الله تعالى، من المودة الأكيدة، فلم يتفق ذلك، ثم فارقت بلاد الشام وانتقلت إلى الشام وأقمت به مقدار عشر سنين، ثم انتقلت إلى الديار المصرية وهو في قيد الحياة، ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة." [١]

كانت حياة ابن الأثير موزعة بين السياسة والعلم، وكانت الفترة الأخيرة من حياته هي فترته الأخصب، وبالتحديد الفترة بين عامي (٦١٧ ـ ٦٣٧هـ)، وفيها ألّف أكثر كتبه، وأهمها كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، وظل يُدرس للناس اللغة والأدب، ويعلم تلاميذه المثل السائر، ومن أشهر تلاميذه ابن الساعي المتوفى (٦٧٤هـ). [٢]

وقد أثرت هاتان الناحيتان (وصوله إلى قمة مجده الفكري، وتوليه منصب الكتابة بدواوين القاضي الفاضل وأبناء صلاح الدين الأيوبي) تأثيراً كبيراً في ابن الأثير، وفي نظرته إلى البيان في كتابه المثل السائر، وعلى أساس ذلك صار ناقداً ذا شخصية مستقلة، يتفرد في آرائه أحياناً، ويتفوق عمن سبقه أحياناً أخرى. [٣]

وابن الأثير له العديد من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله، منها على سبيل المثال: كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، وهو في مجلدين، جمع فيه فأوعب، ولم يترك شيئاً يتعلف بفن الكتابة إلا ذكره، وله كتاب (الوشي المرقوم في حل المنظوم) وهو مع وجازته في غاية الحسن والإفادة، وله كتاب (المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء) وهو أيضاً نهاية في بابه، وله مجموع اختار فيه شعر أبي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي، وهو في مجلد واحد كبير، وحفظه مفيد، وله أيضاً ديوان ترسل في عدة مجلدات والمختار منه في مجلد واحد، ومن رسائله ما كتبه إلى مخدومه، ومن رسائله في ذكر العصا التي يتوكأ عليها الشيخ الكبير وهو معنى غريب، وله رسالة يصف فيها الديار المصرية، وهي طويلة، ومن جملتها فصل في صفة نيلها وقت زيادته، وهو معنى

---

[١] ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٥، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ص٣٩١، مرجع سابق.

[٢] ينظر: محمد زغلول سلام (دكتور): الأدب في العصر الأيوبي، ص٢٤٢ـ٢٤٣، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٠م.

[٣] ينظر بتصرف يسير: بدوي طبانة (دكتور): البيان العربي دراسة في الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، ص٢٦٢ـ ٢٦٣، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ط٧، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

بديع غريب، لم أقف لغيره على أسلوبه، وكان يعارض القاضي الفاضل في رسائله، فإذا أنشأ رسالة أنشأ مثلها، وكان بينهما مكاتبات ومجاوبات، ولم يكن له في النظم شيء حسن. (١)

ولهذا كان ابن الأثير كثير الاعتداد بنفسه، والتباهي بعلمه، وربما جره ذلك أحياناً إلى الانتقاص من الآخرين الباحثين في علم البيان، فقد ألفوا كتباً، وجلبوا ذهباً وحطبوا حطباً، وقد علم الغث من السمين، لكنه لم ينتفع سوى بكتاب الموازنة للآمدي وكتاب سر الفصاحة للخفاجي. (٢)

لقد كان ابن الأثير من الكتاب المجيدين، ولم تحظ العراق بعده بكاتب ديواني على مثاله أو مثال أنداده السابقين. (٣) فضلاً عن أخويه المحدث أبي السعادات، والمؤرخ عز الدين صاحب الكامل في التاريخ، وكلهم نجباء رؤساء، ولكل منهم تصانيف في مختلف العلوم. (٤)

كتاب: (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر):

لقد احتل هذا الكتاب النفيس منزلة كبيرة بين كتب أصول البلاغة والنقد الفني عند العرب، وليس هذا الأمر من فراغ، بل يُعزَى للأفكار والآراء المستنيرة التي كان لصاحبها قصب السبق في الكثير منها؛ مما وضعه في مرتبة متقدمة هو وكتابه النفيس.

قال ابن خلكان عن هذا المؤلَف: "ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله كتابه الذي سماه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، وهو في مجلدين، جمع فيه فأوعب، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره، ولما فرغ من تصنيفه كتب الناس عنه، فوصل إلى بغداد منه نسخة، فانتدب له الفقيه الأديب عز الدين بن أبي الحديد، وتصدى لمؤاخذته والرد عليه، وعنته في ذلك، وجمع هذه المؤاخذات في

(١) ينظر بتصرف يسير: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٥، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ص٣٩١ـ ٣٩٦، مرجع سابق.

(٢) ينظر بتصرف يسير: بدوي طبانة (دكتور): البيان العربي دراسة في الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، ص٢٦٣ـ ٢٦٤، مرجع سابق.

(٣) ينظر: شوقي ضيف (دكتور): عصر الدول والإمارات، ص٤٥٢، دار المعارف، القاهرة، ط٢، د.ت.

(٤) ينظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المجلد السابع، حققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط، ص٣٣٠، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

كتاب سماه (الفلك الدائر على المثل السائر)." [١]

يقول عنه علماء البيان: أن المثل السائر للنظم والنثر بمنزلة أصول الفقه لاستنباط أصول الأحكام، فأتى فيه بما لم يسبقه أحد إليه. [٢]

وعلى الجانب الآخر فقد أثار الكتاب الكثير من الخصومات، وكان من دواعي هذه الخصومات اللهجة الحادة لابن الأثير أحياناً، الأمر الذي دفع العديد من كتاب عصره وبعد عصره إلى تأليف العديد من المؤلفات للرد عليه، ومنها على سبيل المثال: كتاب عز الدين بن أبي الحديد (الفلك الدائر على المثل السائر)، الذي أوله الحمد لله الذي فاوت بين عقول البشر، وعنوانه فيه الفلك، وقد دار عليه الفلك كأنهم يريدون أنه قد طحنه ومحا صورته [٣]، وصنف أبو القاسم محمود بن الحسين السنجاري كتاباً سماه (نشر المثل السائر وطي الفلك الدائر)، وصنف صلاح الدين بن أيبك الصفدي كتاباً سماه (نصرة الثائر على المثل السائر)، وصنف عبد العزيز بن عيسى كتاباً سماه (قطع الدابر عن الفلك الدائر). [٤]

فهذه الكتب يرجع الفضل في تأليفها لكتاب المثل السائر لابن الأثير، ولولا هذا الكتاب لما وُجدت هذه الكتب، وعلى الجانب الآخر فقد كان لهذه الكتب الفضل في تصفية كتاب المثل السائر وتنقيحه، بل والدعاية له؛ فذاع صيته، وارتقت شهرته أكثر وأكثر.

وقد حرص ابن الأثير في كتابه على التنظيم والتبويب، وخط لكتابه منهجاً فقسمه إلى مقدمة في علم البيان، وإلى مقالتين: الأولى في الصناعة اللفظية وما ينطوي تحتها من النظر في الألفاظ المفردة والمركبة، والتسجيع، والتجنيس، والترصيع، والموازنة، والمعاظلة، وغيرها، والمقالة الثانية في الصناعة المعنوية، وما تحتها من الاستعارة والتشبيه، والتجريد والعطف والإبهام، والنفي والإثبات، والتقديم والتأخير، والاستدراج

---

[١] ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٥، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ص٣٩١، مرجع سابق.

[٢] ينظر: جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الثالث، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها الدكتور شوقي ضيف، ص٥٤، دار الهلال، القاهرة، د.ط، د.ت.

[٣] ينظر: ابن أبي الحديد: الفلك الدائر على المثل السائر، قدمه وحققه وعلق عليه الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانه، ص٣١ وص٣٥، والكتاب ضمن الجزء الرابع من المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط٢، د.ت.

[٤] ينظر: حاجي خليفه: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المجلد الثاني، ص١٥٨٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

والإيجاز والإطناب، والتكرير والتعريض، وغيرها من ضروب المعاني. لم يترك شيئاً يتعلق بالكتابة إلا ذكره. (١)

فقد كان القصد من الكتاب الكشف عن سر الفصاحة والبلاغة في الكلام المنثور والمنظوم، "فالمصنف يُقارن فيه بين القيم النسبية لكل من الشعر والنثر، مؤثراً الأخير على الأول حيث يأخذ جانب المدافع عنه، وذلك رداً على أبي إسحق الصابي الذي كان قد فضّل قبله بثلاثة قرون الشعر على النثر." (٢)

يُعَد كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) خطوة في اتجاه اكتمال النقد العربي المبني على القواعد الصحيحة والذوق السليم، بعد الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين)، وابن المعتز في كتابه (البديع)، وأبي هلال العسكري في كتابه (الصناعتين)، وابن رشيق في كتابه (العمدة)، وابن سنان الخفاجي في كتابه (سر الفصاحة)، والآمدي في كتابه (الموازنة)، والقاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة)، والخطوة الجبارة لعبد القاهر الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة)، فلم يعتمد ابن الأثير على القواعد وحدها بل اعتمد على الذوق أيضاً، وأشاع في كتابه حياة خصبة باعتماده على الأمثلة والشواهد الكثيرة التي توضح القاعدة من جهة وتمتع القلب من جهة أخرى، وفي الكتاب نظرات سبق بها عصره، وفيه طرق عملية لتعليم الأدب، وفيه أيضاً نظرات صادقة وتقدير صحيح لآراء السابقين، وفيه انفرادات نقدية انفرد بها عمن سواه. (٣)

المحور الأول: ما تفرد به دون غيره وكان له فضل السبق:

كان ابن الأثير حريصاً على أن يبرز تفرده على امتداد كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، وعبّر عن ذلك بأساليب مختلفة وطرق متنوعة، وقد اتضح ذلك في المواضع الآتية:

---

(١) ينظر: جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الثالث، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها الدكتور شوقي ضيف، ص٥٤، مرجع سابق.

(٢) فينسنتي كانتارينو: علم الشعر العربي في العصر الذهبي، ترجمة محمد مهدي الشريف، ص١٩٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

(٣) ينظر بتصرف يسير: أحمد محمد قنبر: جولة مع ضياء الدين بن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص٧٥ـ ٧٧، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٤م.

المثال الأول: يقول ابن الأثير في مقدمة كتابه عن علم البيان: "وكنت عثرت على ضروب كثيرة منه في غضون القرآن الكريم؛ ولم أجد أحداً ممن تقدمني لذكر شيء منها، وهي إذا عدت كانت في هذا العلم بمقدار شطره، وإذا نُظر إلى فوائدها وُجدت محتوية عليه بأسره، وقد أوردتها ها هنا، وشفعتها بضروب أُخر مدونة في الكتب المتقدمة، بعد أن حذفت منها ما حذفته، وأضفت إليها ما أضفته. وهداني الله لابتداع أشياء ام تكن من قبلي مبتدعة، ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالها تابعة، وإنما هي مُتبعة. وكل ذلك يظهر عند الوقوف على كتابي هذا، وعلى غيره من الكتب." [1]

اللافت للنظر أن الجملة المحورية (ولم أجد أحداً ممن تقدمني لذكر شيء منها) التي تؤكد تفرده، ثم أعقبها بمبررات وأدلة تبين هذا التفرد، ويتضح ذلك على النحو الآتي:

ــ أوردتها: أي جاء بها لتؤكد صدق كلامه وتفرده في هذا الموضع الذي يتحدث فيه.

ــ شفعتها: بأمثلة أخرى تؤكد صدق تفرده.

ــ حذفت منها/أضفت إليها: مما يؤكد تنقيحه لهذه الأمثلة التي أوردها سواء بالحذف أو الإضافة، فالعمل الذي قام به لم يكن عملاً عشوائياً، بل كان قائماً على التمحيص والدقيق.

ثم أعقبها بجملة محورية أخرى جاءت في الفقرة السابقة نفسها وهي: (وهداني الله لابتداع أشياء لم تكن من قبلي مبتدعة)، وأعقبها أيضاً بمسوغات تفرده في قوله:

ــ لا تكون أقوالها تابعة، وإنما هي متبعة: فتفرده فيما جاء به واضح في هاتين الجملتين، فأقواله لم يسبقه أحد إليها، بل قلده وسار على نهجه من جاء بعده.

المثال الثاني: يقول ابن الأثير في الركن الخامس من أركان الكتابة: "وأنا انفردت بذلك دون غيري من الكُتاب، فإني استعملته في كل كتاب، حتى إنه ليأتي في الكتاب الواحد في عدة مواضع منه، وقد أنشأت تقليداً لبعض الملوك مما يكتب من ديوان الخلافة، ثم إني اعتبرت ما ورد فيه من معاني الآيات والأخبار النبوية، فكان ما يزيد على الخمسين، وهذا لا أتكلفه تكلفاً، وإنما يأتي على حسب ما يقتضيه الموضع الذي يُذكر

---

[1] ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج١، قدمه وحققه وعلق عليه الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانه، ص٣٤، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط٢، د.ت.
(اختصاراً سيشير الباحث بعد ذلك للكتاب بالمثل السائر ثم الجزء ثم رقم الصفحة).

فيه." [١]

فالجملة المحورية التي يبين انفراده هي (وأنا انفردت بذلك دون غيري من الكُتاب)، ثم أعقبها بمبرراته التي تسوغ له هذا التفرد وهي:

ــ فإني استعملته في كل كتاب: فقد اعتمد ابن الأثير في كل كتاب له على معنى من معاني القرآن الكريم أو الأخبار النبوية الشريفة.

ــ وقد أنشأت تقليداً لبعض الملوك مما يكتب من ديوان الخلافة: ولم يكتفِ ابن الأثير بالاستعمال فحسب، بل جعل الأمر منهاجاً يُحتذي، ومثالاً يُقتدى لغيره من الكتاب والأدباء.

ــ إني اعتبرت ما ورد فيه من معاني الآيات والأخبار النبوية: ويستمر ابن الأثير في التأكيد على تفرده وإعطاء الأمثلة لغيره والتي زادت على الخمسين.

ثَمة أمر آخر لا بد من الإشارة وهو منهجيته في التفرد، تلك المنهجية التي ظهرت واضحة وجلية في قوله: (وهذا لا أتكلفه تكلفاً)، وهو بذلك يدفع عن نفسه شبهة التكلف التي تساور المتلقي في عرضه، ويؤكد على معيار موضوعيته وحياده إلى جوار تفرده، وقد اتضح ذلك في قوله: (وإنما يأتي على حسب ما يقتضيه الموضع الذي يُذكر فيه).

المثال الثالث: في معرض حديثه عن الطريق إلى الكتابة يقول: "هذا الفصل هو كنز الكتابة ومنبعها، وما رأيت أحداً تكلم فيه بشيء ولما حُبّبت إليّ هذه الفضيلة، وبلَّغني الله منها ما بلَغني وجدت الطريق ينقسم فيها إلى ثلاث شعب." [٢]

فالجملة المحورية التي تؤكد انفراده هي (وما رأيت أحداً تكلم فيه بشيء)، ثم أعقبها بمبرراته التي تسوغ له هذا التفرد، لكن هناك بعض الأمور اللافتة للنظر وهي:

ــ بناء الفعل (حُبّبت) للمجهول، ثم جاء بعده الفعل (بلَّغني) منسوباً إلى فاعله (لفظ الجلالة)؛ مما يزيد قناعة القارئ أن التفرد في هذا الموضع جاء من فضل الله وتوفيقه لا من براعته وفطنته.

---

[١] المثل السائر: ج١، ص٩٩.

[٢] المثل السائر: ج١، ص١٠٠.

ــ الجملة التي جاء في الصدارة (هذا الفصل هو كنز الكتابة ومنبعها) جملة تؤدي دلالات عديدة، فالتعبير عن محتوى الفصل بالكنز يؤكد قيمته التي لا تقدر بثمن.

ــ إن قيمة ما يتضمنه هذا الفصل جاءت في طبقات الكتابة وهي ثلاث طبقات: أدنى الطبقات تصفُّح كتابة المتقدمين والاطلاع على أوضاعهم في استعمال الألفاظ والمعاني، ثم الطبقة الوسطى بالمزج بين كتابة المتقدمين وما يستجيده لنفسه من زيادة حسنة، وأخيراً الطبقة الأعلى طبقة الإمامة في الكتابة وتأتي بحفظ القرآن والأخبار النبوية ودواوين فحول الشعراء، ثم يأخذ في الاقتباس منهم جميعاً فيصيب ويخطئ، ويقوم ويقع، ويضل ويهتدي، حتى يستقيم على طريقة يفتتحها لنفسه دون سواه.

المثال الرابع: في معرض حديثه عن تفرده بالألفاظ المركبة، حيث اعتبر ابن الأثير أن تأليف الألفاظ أو تركيبها هو صناعة الأديب، وقسم تلك الصناعة لثمانية [١] أنواع يأتي في مقدمتها السجع الذي يختص بالكلام المنثور، وقد دافع ابن الأثير عن مبدأ الصنعة دفاعاً حاراً، فهو من أعلام الكتاب في عصر الصنعة والتزويق، ويرى أن من كان يذم السجع كان يذمه بسبب عجزه أن يأتي به، ولو كان السجع مذموماً لما ورد في القرآن الكريم، فقد جاءت سور بأكملها مسجوعة مثل سورة (الرحمن) وسورة (القمر)، وورد كثيراً في كلام النبي صلى الله عليه وسلم. [٢]

لذلك يرى ابن الأثير نفسه متفرداً في باب السجع، وقد جاء بدروب في الكتابة لم يُسبق إليها، وقد أكد ذلك في قوله: "وأما التقليد الذي أنشأته أنا فقد أوردته بعد هذا التقليد."[٣]

فالجملة المحورية هنا (وأما التقليد الذي أنشأته أنا)، والتي تؤكد انفراده بهذا التقليد في الكتابة عمن سواه، وقد شفعها بالجملة التالية التي تبرر هذا الانفراد، وهذا يتفق مع التقليد الذي اتبعه ابن الأثير في سجعه والذي أكده مرة أخرى في قوله: "وأما التقليد الذي

---

[١] السجع، والتصريع، والتجنيس، والموازنة، واختلاف صيغ الألفاظ، والترصيع، ولزوم ما لا يلزم، وتكرير الحروف.

[٢] ينظر بتصرف يسير: بدوي طبانة (دكتور): البيان العربي دراسة في الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، ص٢٧٩ــ ٢٨٠، مرجع سابق.

[٣] المثل السائر: ج١، ص٢٢٧.

أنشأته أنا." [١] فالأصل في السجع عند ابن الأثير الاعتدال في مقاطع الكلام، ولكن ليس كل سجع مقبولاً؛ لأن بعض الأدباء يصرف همه إلى السجع نفسه دون الالتفات إلى مفردات الألفاظ المسجوعة، ولا إلى تركيبها، فالسجع الجيد هو ما كان اللفظ فيه تابعاً للمعنى، لا أن يكون المعنى فيه تابعاً للفظ، ومن علامات حسن السجع أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها وإلا لكان ذلك تطويلاً، ولهذا يمكن اعتبار السجع حسناً وجميلاً إذا اجتمعت فيه أربع شرائط، اختيار مفردات الألفاظ، واختيار التركيب، وأن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعاً للمعنى لا المعنى تابعاً للفظ، وأن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها. [٢]

المثال الخامس: فقد انفرد فيه ابن الأثير بكتاب كتبه إلى بعض الناس فيه هزل معه، ويرى أنه لم يُسبق لهذا المعنى من قبل بل انفرد به عمن قبله، ويتضح ذلك في قوله: "وهذا معنى ابتدعته ابتداعاً، ولم أسمعه لأحد من قبلي." [٣]

ومن ذلك أيضاً كتاب يتضمن هزيمة الكفار، ويرى أنه انفرد به في قوله: "وهذا معنى انفردت بابتداعه، ولم يأتِ به أحد ممن تقدمني." [٤]

فالجملة المحورية جاءت مرة (وهذا معنى ابتدعته ابتداعاً)، ومرة أخرى (وهذا معنى انفردت بابتداعه)، ثم جاء بمسوغات تأكيد انفراده بهذا المعني وابتداعه له من وجهة نظره في قوله:

ـــ ولم أسمعه لأحد من قبلي، مما يدل على انفراده بهذا المعنى في هذا الباب الذي لم يُسبق إليه.

ـــ ولم يأتِ به أحد ممن تقدمني، مما يدل على انفراده بهذا المعنى في هذا الباب، حيث لم يسبقه أحد في الكتابة في هزيمة الكفار بهذا المعنى.

---

[١] المثل السائر: ج١، ص٢٤٥.

[٢] ينظر بتصرف يسير: بدوي طبانة (دكتور): البيان العربي دراسة في الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، ص٢٨٠ـ ٢٨١، مرجع سابق.

[٣] المثل السائر: ج٢، ص٣٥.

[٤] المثل السائر: ج٢، ص٣٦.

لكن لا بد من الإشارة هنا إلى أن حكماء اليونان هم أول من تحدثوا في حصر أصول الصناعة المعنوية للكتابة، وإن كان هذا الحصر جزئياً لا كلياً؛ لأنه من المستحيل حصر جزئيات المعاني وما يتفرع عليها من التفريعات التي لا نهاية لها. هذا بالإضافة إلى أن ابن الأثير قد حاكى أبا هلال العسكري في تقسيمه المعاني إلى قسمين: أحدهما ضرب يبتكره مؤلف الكلام ويبتدعه من غير أن يقتدي بمن سبقه، والآخر يحتذي فيه على مثال سابق ومنهج مطروق. [١]

المثال السادس: وقد انفرد بوصف القلم في رسالة أرسلها لديوان الخلافة في بغداد وفي أوصافه معاني حسنة لطيفة ومنها معنى غريب لم يُسبق إليه، ويتضح ذلك في قوله: "فإن هذا مما ابتكرته." [٢]

فالجملة المحورية (فإن هذا مما ابتكرته) تبين انفراده، لكن لا بد من التأكيد على أن هذا المعنى مستخرج من الحديث النبوي في ذكر الطاعة والجماعة في قوله صلى الله عليه وسلم عن أبي ذر قال: "إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مُجَدَّع الأطراف." [٣] فاستخرج ابن الأثير المعنى من ذلك للقلم، وصار عنده القلم يجدَّع ويُقمَّص لباس السواد وكأنه حبشيّ أجدع، وهذا موطن تفرده.

ومثل ذلك ما كتبه عن نفسه إلى بعض ملوك الشام حين أهدى إليهم رطباً: "وكل هذه المعاني حسنة واردة في موضعها. ومن كتب في معنى من المعاني فليكتبه هكذا، وإلا فليدع." [٤]

المثال السابع: يؤكد ابن الأثير تفرده في قوله: "وبعد هذا فسأقول لك في هذا الموضع قولاً لم يقُله أحدٌ غيري، وهو أن المعاني المبتدعة شبيهة بمسائل الحساب المجهول من الجبر والمقابلة، فكما أنك إذا وردت عليك مسألة من المجهولات تأخذها، وتقلبها ظهراً لبطن، وتنظر إلى أوائلها وأواخرها، وتعتبر أطرافها وأوساطها، وعند ذلك

---

[١] ينظر بتصرف يسير: بدوي طبانة (دكتور): البيان العربي دراسة في الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، ص٢٨٢ـ ٢٨٣، مرجع سابق.

[٢] المثل السائر: ج٢، ص٣٦.

[٣] النووي: شرح صحيح مسلم، الجزء الثاني عشر، ص٢٢٥، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ط١، ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣٠م.

[٤] المثل السائر: ج٢، ص٤١.

تخرج بك الفكرة إلى معلوم، فكذلك إذا ورد عليك معنى من المعاني ينبغي لك أن تنظر فيه كنظرك في المجهولات الحسابية." [١]

فالجملة المحورية هنا (فسأقول لك في هذا الموضع قولاً لم يقُله أحدٌ غيري) أردفها ابن الأثير هذه المرة بمثال عملي يؤكد كلامه ويسوغ تفرده وهو مثال الحساب المجهول كالآتي:

ـــ إذا وردت عليك مسألة من المجهولات وأردت أن تخرج بها إلى المعلوم فعليك أن تفسرها من كل جهاتها، وتبين كل جوانبها؛ لتزيل عنها غموضها.

ـــ الإبداع والتفرد لا يقعان إلا في معنى غريب لم يُطرق ولم يأتِ مثله، وفي ذلك الوقت إذا كُتب كتاب، أو نُظم شعرٌ، فإن الكاتب أو الشاعر يعثران على مظنة الإبداع فيه. [٢]

ويستمر ابن الأثير في تأكيد تفرده في وصفه للدينار في قوله: "والثاني: ما ذكرته في وصف الدينار، وهو أنه توجيه ذو وجهين. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ذو الوجهين لا يكون وجيهاً. وهذا معنى لم يسبقني أحد إليه." [٣]

فالجملة المحورية هنا (وهذا معنى لم يسبقني أحد إليه) ليؤكد تفرده بهذا المعنى دون سواه، لكن لا بد من التأكيد على عدة نقاط فيما يلي:

ـــ وصف الحريري الدينار في مقامة من مقاماته [٤]، لكنه لم يظفر بهذا المعنى، ولا جاء من الأوصاف التي ذكرها بمثله.

ـــ لا بد من التنبيه على أن وصف ذي الوجهين جاء في سياق المقامة الدينارية، لكن لم يرد وصف أنه لا يكون وجيهاً، وذلك في قوله:

تباً له من خـادع ممـــاذق أصفر ذي وجهين كالمنافق

يبدو بوصفين لعين الرامق زينة معشوق ولون عاشق [٥]

---

[١] المثل السائر: ج٢، ص٣٧.

[٢] ينظر: المثل السائر: ج٢، ص٣٧.

[٣] المثل السائر: ج٢، ص٤٧.

[٤] أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي، شرح مقامات الحريري، الجزء الأول، ص١٣١ـ ١٥٧، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

[٥] أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي، شرح مقامات الحريري، الجزء الأول: ص١٤٩، مرجع سابق.

المثال الثامن: يؤكد ابن الأثير انفراده ببعض المعاني المخترعة في فنون الكتابة والتي عزف عنها علماء البلاغة في قوله: "وسأنبه في هذا الموضع على طريق يُسلك إلى شيء من المعاني المخترعة، وهو ما استخرجته، وانفردت باستخراجه دون غيري، فإن المعاني المخترعة لم يتكلم فيها أحد بالإشارة إلى طريق يُسلك فيها، لأن ذلك مما لا يمكن. ومن ها هنا أضرب علماء البيان عنه، ولم يتكلموا فيه كما تكلموا في غيره. وكيف تتقيد المعاني المخترعة بقيد، أو يُفتح إليها طريق تُسلك، وهي تأتي من فيض إلهي بغير تعليم؟"(١)

فالجملة المحورية هنا (وهو ما استخرجته، وانفردت باستخراجه دون غيري) مهّد لها ابن الأثير بقوله (وسأنبه في هذا الموضع على طريق يُسلك إلى شيء من المعاني المخترعة)، وذلك من أجل جذب انتباه المتلقي لما سيلقيه عليه من جهة، وتأكيداً لمسوغات انفراده من جهة أخرى وهي كالآتي:

ــ المعاني المخترعة لم يتكلم فيها أحد من قبله، ولم ينبه أحد إلى الطريق الذي ينبغي على السالك أن يسير فيه من أجل الوصول لهذه المعاني المخترعة.

ــ إضراب علماء البلاغة عن وصف الباب الذي يُسلك من أجل الوصول لهذه المعاني المخترعة في فنون الكتابة، بل لم يتكلموا فيه من الأساس.

ــ المعاني المخترعة لا تتقيد بقيد، ولا يُفتح لها طريق ولا توصف ـ من وجهة نظر ابن الأثيرـ وذلك لأنها فيض إلهي يأتي من عند الله لا من التعليم.

ثم بين ابن الأثير الطريقة التي انفرد بها عمن سواه، وكيف يخترع هذه المعاني اختراعاً، وأنها لا تستقيم لأحد غيره في قوله: "ولما مارست أنا هذا الفن ــ أعني فن الكتابة ــ وقلبته ظهراً لبطن، وفتشت عن دفائنه وخباياه، وأكثرت من تحصيل مواده والأسباب الموصلة إلى الغاية منه، سنح لي في شيء من المعاني المخترعة طريق سلكته، وهو يستخرج من كتاب الله تعالى، وأحاديث نبيه صلوات الله عليه وسلامه، وقد تقدم لي منه أمثلة في هذا الكتاب. وذلك أنك ترد الآية من كتاب الله أو الحديث النبوي، والمراد بهما

(١) المثل السائر: ج٢، ص٥٥.

معنى من المعاني، فآخذ أنا ذلك، وأنقله إلى معنى آخر؛ فيصير مخترعاً لي." [١] ومن ذلك قصة أصحاب الكهف التي أخذها ونقلها إلى الإحسان والشكر.

فابن الأثير يضرب مثالاً عملياً ونموذجاً تدريبياً لهذه المعاني المخترعة التي انفرد بها، والتي لا تستقيم لأحد غيره وهي كالآتي:

ـــ الممارسة المستمرة التي لا تنقطع (ولما مارست أنا هذا الفن).

ـــ طول الخبرة والتدريب وتقليب الأمور على جوانبها كافة (وقلبته ظهراً لبطن، وفتشت عن دفائنه وخباياه).

ـــ التحصيل المستمر (وأكثرت من تحصيل مواده والأسباب الموصلة إلى الغاية منه).

ـــ الرجوع لمصدري المعاني المخترعة وهما كتاب الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم (وهو يستخرج من كتاب الله تعالى، وأحاديث نبيه صلوات الله عليه وسلامه).

ـــ الإجادة في النقل من معنى إلى معنى آخر والقدرة على ذلك ليتم الاختراع التام له (فآخذ أنا ذلك، وأنقله إلى معنى آخر؛ فيصير مخترعاً لي).

المثال التاسع: يؤكد ابن الأثير انفراده في المبادئ والافتتاحيات في مكاتباته في قوله: "ومن الحذاقة في هذا الباب أن يُجعل الدعاء في أول الكتاب من السلطانيات والإخوانيات وغيرهما متضمناً من المعنى ما بُني عليه ذلك الكتاب، وهذا شيء انفردت بابتداعه، وتراه كثيراً فيما أنشأته من المكاتبات، فإني توخيت فيها وقصدته." [٢]

فالجملة المحورية التي تؤكد انفراده هي: (وهذا شيء انفردت بابتداعه، وتراه كثيراً فيما أنشأته من المكاتبات، فإني توخيت فيها وقصدته)، وقد جعل ابن الأثير لهذه الجملة مقدمة تمهد لانفراده من جهة، وتسوغ لمنهجه في مكاتباته وهي:

ـــ إن من حسن افتتاح الكلام أن يجعل المبدع مطلع الكلام من الشعر أو النثر دالاً على المقصود، وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام المراد به.

ومن ذلك قوله: "وأما فواتح الكتب التي أنشأتها فمنها ما اخترعته اختراعاً ولم أُسبق إليه، وهي عدة كثيرة." [٣]

---

[١] المثل السائر: ج٢، ص٥٦.
[٢] المثل السائر: ج٣، ص١١١.
[٣] المثل السائر: ج٣، ص١١٢.

وقوله أيضاً: "وهذا في الغرابة كأخواته التي تقدمت، ولم أستقص ما اخترعته من هذا الباب في مطالع الكتب." [١]

المحور الثاني: ما تفوق فيه على من سبقه وابتدع على غير شاكلتهم:

كما كان ابن الأثير حريصاً على أن يبرز تفرده على امتداد كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، فقد كان مصراً على إثبات تفوقه على من سبقه، وعبّر عن ذلك بأساليب مختلفة وطرق متنوعة، وقد اتضح ذلك في المواضع الآتية:

المثال الأول: يؤكد ابن الأثير تفوقه على من سبقه في الفصاحة والبلاغة في قوله: "اعلم أن هذا الباب متعذر على الوالج، ومسلك متوعر على الناهج، ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه، والبحث عنه، ولم أجد من ذلك ما يعول عليه إلا القليل." [٢]

فالجملة المحورية (ولم أجد من ذلك ما يعول عليه إلا القليل) اعتمد عليها ابن الأثير ليثبت تفوقه على من سبقه، وقد سبقها بمسوغات تثبت تفوقه من جهة، وتبين أن ما وصل إليه في الفصاحة والبلاغة على غير شاكلة من سبقه من جهة أخرى، ومن ذلك:

ـ اعلم أن هذا الباب متعذر على الوالج.

ـ مسلك متوعر على الناهج.

ـ ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه، والبحث عنه.

فالكلام الفصيح عند ابن الأثير هو الظاهر البين، ومعنى ذلك أن تكون ألفاظه مفهومة، لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة؛ لأنها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر الذين غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها، فاختاروا الحسن واستعملوه، ونفوا القبيح فلم يستعملوه. [٣]

المثال الثاني: يؤكد ابن الأثير تفوقه على من سبقه في الفصاحة والبلاغة في موضع آخر في قوله: "ولما وقفت على أقوال الناس في هذا الباب ملكتني الحيرة فيها، ولم

---

[١] المثل السائر: ج٣، ص١١٦.

[٢] المثل السائر: ج١، ص٩٠.

[٣] ينظر بتصرف يسير: بدوي طبانة (دكتور): البيان العربي دراسة في الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، ص٢٦٦ـ ٢٦٧، مرجع سابق.

يثبت عندي منها ما أُعول عليه، ولكثرة ملابستي هذا الفن، ومعاركتي إياه، انكشف لي السر فيه، وسأوضحه في كتابي هذا، وأحقق القول فيه." [١]

فالجملة المحورية هنا (وسأوضحه في كتابي هذا، وأحقق القول فيه) هي الدافع للابتداع، ورغبته الملحة في التفوق على من سبقه، وقد سبقها مسوغات وهي:

ــ النقص الشديد في أقوال من سبقه مما سبب له الحيرة الشديدة (ولما وقفت على أقوال الناس في هذا الباب ملكتني الحيرة فيها)

ــ عدم وجود قواعد واضحة أو آراء ثاقبة يعول عليها في الفصاحة والبلاغة (ولم يثبت عندي منها ما أُعول عليه)

ــ نتيجة لطول الخبرة والممارسة والدربة وصل ابن الأثير إلى ما لم يصل إليه غيره، بل وتفوق عليهم، حتى بدا له السر في الفصاحة والبلاغة (ولكثرة ملابستي هذا الفن، ومعاركتي إياه، انكشف لي السر فيه).

ولا بد من التأكيد على أن ابن الأثير كان ينتصر للفظ على حساب المعنى، والأمر ليس فيه غرابة؛ لأنه كاتب وفن الكتابة يعتمد على التصوير، وعلى انتقاء الألفاظ وحسن اختيارها، وهذا من صميم عمل ابن الأثير ومدار حياته، بل من سمات العصر الذي ينتمي إليه، وهو عصر الصناعة والتأنق في الشكل والافتنان في التصوير. [٢]

المثال الثالث: ذكر ابن الأثير في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان من أهل الكتابة كان اعتدى عليه شخص يدعي الكتابة وليس من أهلها، ومن خلال عرض هذا المثال يتضح تفوقه على من سبقه في قوله: "وقد سلكت في ذلك طريقاً اخترعتها، وكنت أنا ابن عذرتها، وعند تأمل ما أوردته منها في هذا الكتاب يظهر للمتأمل صحة دعاويّ. ولئن كان من تقدمني أتى بشيء من ذلك، فإني ركبت فيه جواداً وركب جملاً، ونال من مورده نهلةً واحدة، ونلت منه نَهَلاً وعللاً." [٣]

---

[١] المثل السائر: ج١، ص٩١.

[٢] ينظر بتصرف يسير: بدوي طبانة (دكتور): البيان العربي دراسة في الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، ص٢٦٧ــ ٢٦٨، مرجع سابق.

[٣] المثل السائر: ج١، ص١٣٤.

الجملة المحورية التي تؤكد تفوقه على من سبقه، واختراعه لهذه الطريقة في حل الأبيات الشعرية للرد على ادعى الكتابة (وقد سلكت في ذلك طريقاً اخترعتها، وكنت أنا ابن عذرتها)، وقد أردفها ببعض المسوغات التي تؤكد تفوقه على من سبقه حتى وإن أتى منها بشيء وهي:

ــ فإني ركبت فيه جواداً وركب جملاً.

ــ ونال من مورده نهلةً واحدة، ونلت منه نَهَلاً وعللاً.

المثال الرابع: يقول ابن الأثير في بلاغة التشبيه ليؤكد تفوقه على من سبقه: "والقول السديد في بلاغة التشبيه هو ما أذكره، وهو أن إطلاق من أطلق قوله في أن من شرط بلاغة التشبيه أن يُشبه الأصغر بالأكبر غير سديد، فإن هذا قول غير حاصر للغرض المقصود؛ لأن التشبيه يأتي تارة في معرض المدح، وتارة في معرض الذم، وتارة في غير معرض مدح ولا ذم، وإنما يأتي قصداً للإبانة والإيضاح، ولا يكون تشبيه أصغر بأكبر؛ كما ذهب إليه من ذهب." [١]

فالجملة المحورية (والقول السديد في بلاغة التشبيه هو ما أذكره، وهو أن إطلاق من أطلق قوله في أن من شرط بلاغة التشبيه أن يُشبه الأصغر بالأكبر غير سديد) تبين عدم اقتناعه بقول من سبقه في بلاغة التشبيه من جهة، وتمهد لوجهة نظره وتفوقه على من سبقه من جهة أخرى، ويبدو ذلك عبر عدة مسوغات وهي:

ــ رأي من سبقه يعتريه النقص وعدم الكمال (فإن هذا قول غير حاصر للغرض المقصود).

ــ التشبيه يأتي في غرض المدح وفي غرض الذم وفي غيرهما (لأن التشبيه يأتي تارة في معرض المدح، وتارة في معرض الذم، وتارة في غير معرض مدح ولا ذم).

ــ الغرض الرئيس للتشبيه هو إخراج الخفي إلى الجلي، وتقريب البعيد، ورفع قيمة المعنى، وإكسابه روعة وجمالاً (وإنما يأتي قصداً للإبانة والإيضاح).

ــ لا يمكن حصر فائدة التشبيه في تشبيه الأصغر بالأكبر وإلا عُد ذلك نقصاً وعيباً (ولا يكون تشبيه أصغر بأكبر).

---

[١] المثل السائر: ج٢، ص١٢٦.

والجرجاني يرى أن "المدح أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأوجب شفاعة للمادح، وأقضى له بغُرّ المواهب والنائح، وأسير على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر. وإن كان ذماً كان مسه أوجع، وميسمه ألذع، ووقعه أشد وحده أحد." (١)

وقد عنى البلاغيون بتجديد التشبيهات التي ذهب الإلف بروائها، وذكروا أن الأديب ينبغي أن يضفي عليها من روحه وخياله ما ينفض عنها رتابة الإلف، ويبعثها جديدة حية، وذلك باب من أبواب الإبداع الذي تذكر به الموهبة ويحسب لها، فمظهر المقدرة البيانية لا في تشكيل صور وتشبيهات، وكشف علاقات جديدة فحسب، بل في تجديد الصور الأليفة الرتيبة. (٢)

فالتشبيه بين الممثل والممثل له يعطي الصورة قدراً أكبر من الصلابة والتحديد، خاصة أن التأثير الذي يحدثه التشبيه بحكم بنيته يتجه إلى التصور عن طريق الذهن، والتمثيل القياسي الذي يقدمه التشبيه يتم تلقيه على مستوى الاتصال المنطقي، مما يعطي الصورة الناجمة عنه طابعاً أكثر تحديداً، وإن كانت كفاءته في التأثير أدنى من الاستعارة غالباً. (٣)

وبذلك يتضح تفوق ابن الأثير على من سبقه في فائدة التشبيه، وعدم اقتناعه بقول من سبقه في بلاغة التشبيه.

المثال الخامس: يقول ابن الأثير في التجريد ليؤكد تفوقه على من سبقه وبخاصة أبو علي الفارسي: "وهذا اسم كنت سمعته. فقال القائل: التجريد كلام حسن. ثم سكت فسألته عن حقيقته. فقال: كذا سمعت! ولم يزد شيئاً. فأنعمت حينئذ نظري في هذا النوع من الكلام. فألقى في روعي أنه ينبغي أن يكون كذا وكذا. وكان الذي وقع لي صواباً. ثم مضى على ذلك برهة من الزمان ووصل إليّ ما ذكره أبو علي الفارسي رحمه الله تعالى،

(١) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، صححها السيد محمد رشيد رضا، ص٩٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) ينظر بتصرف يسير: محمد أبو موسى (دكتور): التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص١٦١، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٣) ينظر بتصرف يسير: صلاح فضل (دكتور): بلاغة الخطاب وعلم النص، ص١٤٦ـ ١٤٧، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أغسطس ١٩٩٢م.

وقد أوردته ها هنا. وذكرت ما أتيت به من ذات خاطري من زيادة لم يذكرها. وستقف أيها المتأمل على كلامي وكلامه." [١]

فابن منظور في لسان العرب يعرف التجريد على أنه: "يحمل معاني التعري، وخروج شيء عن شيء، أو نزع وتقشير شيء عن آخر، وهذا ما يتوافق مع المعنى البلاغي للتجريد." [٢]

أما أبو علي الفارسي فكان أول من سمى التجريد بهذا الاسم، كما أنه علل لوجود ظاهرة التجريد تعليلاً يؤصل للتجريد ويربطه بانشطار الذات. [٣]

فأبو علي الفارسي يرى في التجريد "أن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته ومحصوله، فتُخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرداً من الإنسان كأنه غيره، وهو هو بعينه، نحو قولهم: (لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد، ولئن سألته لتسألن منه البحر)، وهو عينه الأسد والبحر، لا أن هناك شيئاً منفصلاً عنه أو متميزاً منه. ثم قال: وعلى هذا النمط كون الإنسان يخاطب نفسه، حتى كأنه يقاول غيره كما قال الأعشى: (وهل تطيق وداعاً أيها الرجل)، وهو الرجل نفسه لا غيره." [٤]

ــ يرى ابن الأثير أن قوله: (لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد، ولئن سألته لتسألن منه البحر) ليس بتجريد؛ لأن حقيقة التجريد غير موجودة وإنما هو تشبيه مضمر الأداة، فالمذكور كالأسد وكالبحر.

ــ يرى ابن الأثير أن قوله: (إن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته ومحصوله) لا يقتصر على العرب فحسب، بل وغير العرب أيضاً.

ــ الخطأ الذي يراه ابن الأثير في قول أبي علي من وجهين: أحدهما: أنه جعل حقيقة الإنسان عبارة عن خُلقه، والآخر: أنه أدخل في التجريد ما ليس منه.

أما ابن الأثير فعرّف التجريد على أنه "إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه، ثم قسّم ابن الأثير التجريد إلى قسمين، واعتمد في هذا التقسيم

---

[١] المثل السائر: ج٢، ص١٥٩.
[٢] ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة جرد، المجلد الثالث، ص١١٦ـ ١١٧، مرجع سابق.
[٣] ينظر: ريحاب عثمان محمد عبد الغني: الأصول المعرفية لظاهرة انقسام الذات، ص ٢٤٣٤ وما يليها، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، العدد التاسع والأربعون، المجلد الخامس، يناير ٢٠٢٤م.
[٤] المثل السائر: ج٢، ص١٦٤.

على ارتباط النفس بالآخر من عدمه، وهما: التجريد المحض: أي أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك، والتجريد غير المحض: وهو خطاب لنفسك لا لغيرك، ولئن كان بين النفس والبدن فرق إلا أنهما كأنهما شيء واحد، لعلاقة أحدهما بالآخر. وبين هذا القسم والذي قبله فرق ظاهر، وذاك أولى أن يُسمى تجريداً؛ لأن التجريد لائق به، وهذا هو نصف تجريد؛ لأنك لم تجرد به عن نفسك شيئاً، وإنما خاطبت نفسك بنفسك، كأنك فصلتها عنك وهي منك." [١]

ــ اعتبر ابن الأثير خطاب النفس للآخر وهو يريد نفسه هو التجريد.

ــ اعتبر ابن الأثير حوار النفس/الآخر الذي يتحول إلى حوار النفس نوع من التوسع في الكلام وليس تجريداً.

ــ اعتبر ابن الأثير التجريد غير المحض الذي هو خطاب النفس إلى النفس نصف تجريد.

المثال السادس: يرى ابن الأثير تفوقه على من سبقه في التقديم والتأخير في قوله: "وهذا باب طويل عريض، يشتمل على أسرار دقيقة، منها ما استخرجته أنا، ومنها ما وجدته في أقوال علماء البيان، وسأورد ذلك مبيناً..... وقال علماء البيان، ومنهم الزمخشري ــ رحمه الله ــ: إن تقديم هذه الصورة المذكورة [٢] إنما هو للاختصاص، وليس كذلك. والذي عندي فيه أنه يستعمل على وجهين: أحدهما: الاختصاص. والآخر: مراعاة نظم الكلام؛ وذاك أن يكون نظمه لا يُحسن إلا بالتقديم، وإذا أُخِّر المقدَّم ذهب ذلك الحُسن، وهذا الوجه أبلغ وأوْكد من الاختصاص." [٣]

فالجملة المحورية (وهذا باب طويل عريض، يشتمل على أسرار دقيقة، منها ما استخرجته أنا، ومنها ما وجدته في أقوال علماء البيان) تبين عدة مسلمات لا بد من الوقوف عندها، ويأتي في مقدمتها:

---

[١] ينظر بتصرف يسير: المثل السائر: ج٢، ص١٥٩ وما يليها.
وريحاب عثمان محمد عبد الغني: الأصول المعرفية لظاهرة انقسام الذات، ص٢٤٣٧ وما يليها، مرجع سابق.
[٢] يقصد تقديم المفعول على الفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل.
[٣] المثل السائر: ج٢، ص٢١٠ــ ٢١١.

ـــ باب التقديم والتأخير باب كبير ما زال يحتاج لمزيد من الدرس والفحص (وهذا باب طويل عريض).

ـــ باب التقديم والتأخير يحتوي على أسرار دقيقة، منها ما تم الوصول إليها، ومنها ما يحتاج إلى التوضيح والإبانة بشكل أعمق (يشتمل على أسرار دقيقة).

ـــ استطاع ابن الأثير الوصول إلى أسرار لم يصل إليها أحد قبله، وهي تؤكد أسبقيته وتفوقه عمن سواه (منها ما استخرجته أنا).

ـــ لا ينكر ابن الأثير جهود من سبقوه في هذا الباب، فمن هذه الأسرار ما وجده في أقوال من سبقه (ومنها ما وجدته في أقوال علماء البيان).

ـــ يؤكد ابن الأثير أن من سبقه قصر الغرض من التقديم على الاختصاص وهذا غير صحيح كلياً (إن تقديم هذه الصورة المذكورة إنما هو للاختصاص، وليس كذلك)

ـــ يرى ابن الأثير أن التقديم يكون للاختصاص، ويكون أيضاً مراعاة لحسن الكلام، وأن النظم لا يُحسن بدونه، ولو أُخر المقدم لذهب ذلك الحسن، وعلى هذا يكون هذا الوجه أوقع وأبلغ من الاختصاص (والذي عندي فيه أنه يستعمل على وجهين: أحدهما: الاختصاص. والآخر: مراعاة نظم الكلام).

ـــ يضرب ابن الأثير مثالاً بالتقديم والتأخير الذي هو للاختصاص في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الزمر: ٦٤ ـ ٦٦)، فالآية قوله تعالى: (بل الله فاعبد)، ولم يقل (بل اعبد الله)؛ لأنه إذا تقدم وجب اختصاص العبادة لله دون غيره، ولو قال (بل اعبد) لجاز إيقاع الفعل على أي مفعول شاء (الله) أو غيره.

ـــ الوجه الذي يختص بنظم الكلام والذي تفوق فيه ابن الأثير على الزمخشري قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ (الفاتحة: ٥)، فقد ذكر الزمخشري أن التقديم هنا للاختصاص، وهو ليس كذلك من وجهة نظر ابن الأثير، فإن التقديم هنا لمكان نظم الكلام، ومراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون، ولو كان الأمر

للاختصاص فقط لكان (نعبدك ونستعينك) ومن هنا ذهبت الطلاوة واختفى الحسن.

ــ يضرب لنا ابن الأثير أمثلة أخرى تؤيد وجهة نظره من جهة، وتؤكد تفوقه على من سبقه من جهة أخرى، ومنها قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ (طه: ٦٧ ــ ٦٨)، وقوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الحاقة: ٣٠ ــ ٣٢).

المثال السابع: يرى ابن الأثير تفوقه على من سبقه في الحروف العاطفة والحروف الجارة في قوله: "وهذا موضع لطيف المأخذ، دقيق المغزى، وما رأيت أحداً من علماء هذه الصناعة تعرض إليه، ولا ذكره. وما أقول إنهم لم يعرفوه، فإن هذا النوع من الكلام أشهر من أن يَخفى، لأنه مذكور في كتب العربية جميعها." (١)

فالجملة المحورية عند ابن الأثير (وما رأيت أحداً من علماء هذه الصناعة تعرض إليه، ولا ذكره) تؤكد تفوقه على من سبقه؛ لأنه عاد وأكد معرفتهم بهذه المواضع (وما أقول إنهم لم يعرفوه، فإن هذا النوع من الكلام أشهر من أن يَخفى)، فهو من ناحية يقر بمعرفة علماء العربية بهذا الباب وأهميته، ومن ناحية أخرى يبين عدم تعرضهم لهذه الصناعة.

ويضرب الأمثلة من القرآن الكريم على ذلك، ويوضح الفروق الجوهرية بين حرف الواو وحرف الفاء والحرف ثم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾ (الشعراء: ٧٩ ــ ٨١).

ففي الآية استعملت حروف العطف الواو والفاء وثم، فالواو جمعت بين قضيتين، والفاء جمعت بين قضيتين غير متباعدتين، وثم جمعت بين قضيتين متباعدتين مع التراخي، وقد استعمل كل حرف واستغلت وظيفته في الموضع المناسب له، وذلك يزيد المعنى ثبوتاً من جهة، ويلقي على الأسلوب نوعاً من التنظيم والانسجام من جهة أخرى.

ومن الأمثلة التي أوردها في حروف الجر قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ

(١) المثل السائر: ج٢، ص٢٢٧.

﴿٢٤﴾ (سبأ: ٢٤).

ففي الآية الكريمة كان المؤمن كمن يمشي على مكان عالٍ ومستقيم، أما الكافر فيتخبط داخل الظلام لا يدرك الطريق الصحيح، فتظهر بذلك منزلة المؤمن العالية باستخدام حرف الجر (على) الدال على العلو والاستعلاء، ومنزلة الكافر المتدنية باستخدام حرف الجر (في) الدال على الانخفاض والدونية. وبهذا أدت حروف الجر دوراً مهماً في إيصال المعنى الحقيقي إلى المتلقي، وذلك باستخدام كل حرف جر في مكانه المناسب، ولو عكسنا هذين الحرفين في مكانهما لاختلف المعنى تماماً ولم يصل المراد إلى المتلقي على هيئته الواردة في الآية.

المثال الثامن: يرى ابن الأثير تفوقه على من سبقه في قوة اللفظ لقوة المعنى في قوله: "هذا النوع قد ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب (الخصائص) إلا أنه لم يورده كما أوردته أنا، ولا نبه على ما نبهت عليه من النكت التي تضمنته، وهذا يظهر بالوقوف على كلامي وكلامه." [١]

ولذلك كان لا بد من عرض مقولة ابن جني في الخصائص عن قوة اللفظ لقوة المعنى: "فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني، ثم زيد فيها شيء، أوجبت القسمة له زيادة المعنى به." [٢]

فالجملة المحورية في كلام ابن الأثير (هذا النوع قد ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب (الخصائص) إلا أنه لم يورده كما أوردته أنا، ولا نبه على ما نبهت عليه من النكت التي تضمنته) تؤكد تفوقه على ابن جني في عدة محاور:

ــ لم يكن ما أورده ابن جني كافياً من وجهة نظر ابن الأثير (لم يورده كما أوردته أنا).

ــ أورد ابن الأثير الكثير من النكت والأمثلة التي تؤكد وجهة نظره بشكل أكبر من ابن جني (ولا نبه على ما نبهت عليه من النكت التي تضمنته).

ويرى ابن الأثير أن السر البلاغي المترتب على زيادة المبنى هو المبالغة والتوكيد والتفخيم في المعنى، ويرى أن زيادة الألفاظ التي توجب الزيادة في المعنى لا بد

---

[١] المثل السائر: ج٢، ص٢٤١.

[٢] ابن جني: الخصائص، الجزء الثالث، تحقيق الدكتور محمد علي النجار، ص٢٦٨، دار الكتب المصرية، القاهرة.

أن تكون متضمنة معنى الفعلية، كاسم الفاعل واسم المفعول والفعل نفسه، وإن قوة اللفظ لقوة المعنى لا يكون إلا في نقل الصيغة إلى صيغة أخرى أكثر منها حروفاً، ومن ذلك نقل الثلاثي إلى الرباعي، ونقل الرباعي إلى الخماسي، أما إذا حصلت الزيادة في الاسم فإن المعنى ينقص ولا يزيد، ومن ذلك تصغير الاسم. (١)

فاللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نُقل إلى وزن آخر أعلى منه؛ فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني؛ فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة. (٢)

المثال التاسع: يرى ابن الأثير تفوقه على من سبقه في باب الاستدراج في قوله: "وهذا الباب أنا استخرجته من كتاب الله تعالى، وهو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال، والكلام فيه وإن تضمن بلاغة، فليس الغرض ها هنا ذكر بلاغته فقط، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم. وإذا حُقق النظر فيه عُلم أن مدار البلاغة كلها عليه؛ لأنه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة، دون أن تكون مُستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها."(٣)

الجملة المحورية (الباب أنا استخرجته من كتاب الله تعالى) تبين تفوق ابن الأثير على من سبقه في هذا الباب، ومما يؤكد ذلك أن هذا القول لم يعترض عليه أحد ممن جاء بعده، وقد جعل لفظ الاستدراج البلاغي مخادعة في الأقوال تقوم مقام مخادعة الأفعال، وإن كانت هذه اللفظة (خداعاً) غير مناسبة ولا دقيقة؛ لأن ليس كل استدراج خداع، فقد تستدرج أحداً لمعنى أو هدف صالح تريده له، من غير أن تخادعه في ذلك الاستدراج، لكنك تتأتى له من أحسن أبواب التلطف الكلامي البلاغي، ولعل ابن الأثير استخدمه من قبيل استعمال المقيد في المطلق، والخاص في العام، تجوزاً. (٤)

---

(١) ينظر بتصرف يسير: غالب محمد محمود الشاويش (دكتور): اختلاف المعنى لاختلاف مبنى الكلمة دراسة دلالية بلاغية، ص٣٤٣ـ ٣٤٤، مجلة العلوم الشرعية والعربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، العدد٧، ٢٠٠٩م.

(٢) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، الجزء الثالث، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص٣٤، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

(٣) المثل السائر: ج٢، ص٢٥٠.

(٤) ينظر بتصرف يسير: محمد بن عبد الرحمن الخراز (دكتور): مصطلح الاستدراج المفهوم والأثر دراسة بلاغية تأصيلاً وتطبيقاً، ص٨٤٠ـ ٨٤٢، مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد الخامس والثلاثون، ٢٠١٥م.

والجدير بالذكر أن ابن الأثير قد اخترع هذا الاستدراج بعد أن استخرجه من القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (غافر: ٢٨).ثم يذكر ابن الأثير عدة لطائف في هذه الآية تعد مسوغات لأسبقيته في باب الاستدراج، واستنتاجات لم يصل إليها من سبقه وهي كالآتي:

ـــ الاحتجاج هنا جاء من باب التقسيم، فإن كان الرجل كاذباً أصابه كذبه ولم يتعداه، وإن كان صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم به.

ـــ هذا الكلام من الرجل فيه حسن أدب وإنصاف؛ لأن كلام سيدنا موسى النبي لا يحتمل الشك، لكنه قال (يصبكم بعض الذي يعدكم) ليلاطفهم في القول، ويأتيهم من جهة المناصحة؛ ليستكينوا لقوله ويسلموا له.

ـــ تقديم الكاذب على الصادق في الكلام يبين عدم التعصب من الرجل لسيدنا موسى، وكأنه يريد أن يرشيهم في الكلام حتى لا ينفروا منه.

ـــ وختم الكلام بقوله (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب)، فلو لم يكن على الهدى لما هداه الله وعضّده بالبينات.

ـــ في هذا الكلام ما لا يُخفى من خداع الخصم واستدراجه لما يريد؛ ليقيم عليه الحجة والبرهان. [1]

[1] ينظر بتصرف يسير: المثل السائر: ج٢، ص٢٥١ـ ٢٥٢.

خاتمة

انتهت هذه الدراسة حول الانفرادات النقدية لابن الأثير في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، وقد خلصت إلى بعض النتائج التي تبلور أهمية دراسة هذه الانفرادات النقدية، ومن أبرز تلك النتائج ما يلي:

أولاً: أثبتت الدراسة أن لابن الأثير انفرادات نقدية لم يُسبق إليها، تلك الانفرادات تُبرهن سبق الرجل بوصفه ناقداً متميزاً على كثيرين ممن عاصروه.

ثانياً: كشفت الدراسة أن ابن الأثير لم يكتفِ بتكرار ما ذكره السابقون له، وإنما كان في حالة سعي دائم إلى الآراء النقدية الجديدة، وقد اعتمد في بسط تلك الآراء النقدية على عدة روافد منها: إعمال الذوق تارة، وإعمال العقل تارة أخرى، بالإضافة إلى دحض أقوال غيره ومخالفته لهم؛ ليستخلص هو آراء مغايرة لم يقل بها غيره.

ثالثاً: لم تسلم انفرادات ابن الأثير من المبالغات التعبيرية التي قد يؤاخذ عليها في ميزان النقد الموضوعي، حيث كان في بعض الأحيان يبالغ في التعبير عن تفرده وسبقه، لكن على حساب التقليل من شأن غيره؛ مما يُعد مجافاة لروح الكتابة الموضوعية والنقد الموضوعي، ويرجح الباحث أن مرجع ذلك هو اعتداد ابن الأثير الشديد بنفسه وقوة شخصيته.

رابعاً: أكدت الدراسة أن انفرادات ابن الأثير النقدية قد اتخذت شكلين هما:

أ ــ انفرادات لم يقل بها غيره، وكان له فضل السبق فيها.

ب ــ انفرادات أثبت فيها سبقه للآخرين، وتفوق عليهم، وابتداعه على غير شاكلتهم.

خامساً: تمثلت الجوانب التي تفرد فيها ابن الأثير بآراء لم يُسبق إليها في الموضوعات الآتية:

أركان الكتابة ـ الطريق إلى الكتابة ـ الألفاظ المركبة ــ الهزل ـ وصف القلم ــ وصف الدينار ــ المعاني المخترعة في الكتابة ــ المبادئ والافتتاحيات.

سادساً: تبيّن من خلال الدراسة أن الموضوعات التي خالف فيها ابن الأثير غيره، وكان له مذهب مغاير عمن سبقه هي:

الفصاحة والبلاغة ــ كتاباته لبعض إخوانه من أهل الكتابة ــ بلاغة التشبيه ــ التجريد ــ

التقديم والتأخير ــ الحروف العاطفة والحروف الجارة ــ قوة اللفظ لقوة المعنى ــ الاستدراج.

سابعاً: اعتمد ابن الأثير في عرض انفراداته على سمة أسلوبية بارزة كشفت عنها الدراسة الحالية، وهي اعتماده على جملة محورية أو أكثر تعتبر هي الجملة المفتاحية التي تنبئ عن تفرده، ثم يتبع تلك الجملة بمعطيات هذا التفرد أو السبق ومسوغاته؛ مما يثبت منهجية ابن الأثير في عرض آرائه النقدية.

أخيراً: توصي الدراسة الحالية بالآتي:

ــ دراسة المزيد من الانفرادات النقدية للنقاد الآخرين والأدباء والمبدعين القدماء أمثال ابن الأثير.

ــ دراسة أثر الانفرادات النقدية للنقاد والأدباء والمبدعين في المؤلفات النقدية التالية لتلك الانفرادات، الأمر الذي من شأنه بيان أهمية هذا النوع من الدراسات.

قائمة المصادر والمراجع

المصدر:

ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أربعة أجزاء، قدمه وحققه وعلق عليه الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط٢، د.ت

المراجع العربية والمترجمة:

- أحمد الشايب (دكتور): أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٤م.
- أحمد عبد الحي (دكتور): الانفراد ـ التفرد ـ الفردية دراسة في شعر عنترة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م.
- أحمد محمد قنبر: جولة مع ضياء الدين بن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٤م.
- بدوي طبانة (دكتور): البيان العربي دراسة في الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ط٧، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها الدكتور شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، د.ط، د.ت.
- ابن جني: الخصائص، تحقيق الدكتور محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- حاجي خليفه: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- حسين الحاج حسن (دكتور): النقد الأدبي في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- رضوان عبد الرب سيف السروري: انفرادات يعقوب وراوييه كمن طريق الدرة وتوجيهها، كلية الدراسات العليا، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، رسالة ماجستير، ٢٠٠٠م.
- ريحاب عثمان محمد عبد الغني: الأصول المعرفية لظاهرة انقسام الذات، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، العدد التاسع والأربعون، المجلد الخامس، يناير ٢٠٢٤م.
- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- سالم علي الثقفي (دكتور): مفاتيح الفقه الحنبلي، دار النصر للطباعة الإسلامية، مصر، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- شوقي ضيف (دكتور): عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، ط٢، د.ت.
- ـــــــــــــــ: النقد، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٨٤م.
- صدام حامدي: أسس بناء المنهج النقدي عند أنور الجندي كتاب "أخطاء المنهج الغربي الوافد" نموذجاً، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، رسالة ماجستير، ٢٠١٦م.
- صلاح فضل (دكتور): بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أغسطس ١٩٩٢م.
- ضياء الدين بن الأثير: الوشي المرقوم في حل المنظوم، تحقيق الدكتور جميل سعيد، ط٢، د.ت.

- طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي، شرح مقامات الحريري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، صححها السيد محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٩م.
- أبو عمرو الداني: التيسير في القراءات السبع، تحقيق الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- غالب محمد محمود الشاويش (دكتور): اختلاف المعنى لاختلاف مبنى الكلمة دراسة دلالية بلاغية، مجلة العلوم الشرعية والعربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، العدد٧، ٢٠٠٩م.
- أبو الفرج قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- فينسنتي كانتارينو: علم الشعر العربي في العصر الذهبي، ترجمة محمد مهدي الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- مارك شورر وآخرون: النقد أسس النقد الحديث، ترجمة هيفاء هاشم، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ط٢، ٢٠٠٥م.
- مجمع اللغة العربية بمصر: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- محمد زغلول سلام (دكتور): الأدب في العصر الأيوبي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٠م.

- ـــــــــــــــــــــــ: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٢م.
- محمد بن عبد الرحمن الخراز (دكتور): مصطلح الاستدراج المفهوم والأثر دراسة بلاغية تأصيلاً وتطبيقاً، مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد الخامس والثلاثون، ٢٠١٥م.
- محمد مندور (دكتور): في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨م.
- محمد أبو موسى (دكتور): التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٧م.
- منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي: المنح الشافيات بشرح مفردات الإمام أحمد، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الله بن محمد المطلق، كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.
- النووي: شرح صحيح مسلم، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ط١، ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣٠م.